من تراب الطريق! (١٨٤)

مسرح

محمد عبد الله محمد ! (*)

مع المسرح الحر، أو مسرح الحياة، بما يحفل به من أعاجيب وتزيينات ومغالطات تبحث عن الغطاء الذى يستر ما لا يريد الإنسان أن يواجهه بصراحة وصدق، ويتفنن بالحيل والتبريرات للإشاحة أو الإعراض عنها، يمضى الأستاذ الجليل المحامى الشاعر الأديب محمد عبد الله محمد فيقول فيما قال فى قصيدته : " المسرح الحرّ - بديوان العارف :

إنَّا ظِلالٌ يحَوِّلُنَا إلـىَ كَـذِبٍ إلى خداعٍ صغـارُ الهمِّ واللّعِـبِ
لسنا أكاذيبَ فـى الإغياءِ نَحْمِلُهـا أو فى المَسير على جِسرٍ من التَّعَبِ
وقد يُبارِى إلى الإعجاز - معجزنَـا من الكفاح وعالى القصـدِ والرغَبِ
يَزيدُ فـى قدرِنَا أنـا نُمَثِّلُـه مع المخاوِف والأوجاعِ والعطَـبِ

* * *

ظِلُّ الخطيئة ! - هـذا الدور صاحبُهُ منـذ البدايـةِ خَطَّـاءٌ ومسـئُولُ
لـذاكَ أصبـح ذا جـدٍّ ومنزلـةٍ برأيهـا وبـرأى الغيـرِ مشـغولُ
وراءَ كِبْـرِىَ - ذنبٌ كَان - أَلْمَحُـهُ وَخَلْفَ ذنبـىَ ذاكَ السيفُ مسلـولُ
تلك الكرامـةُ - تمثيلٌ أمَثِّلُـه المسْرح الحُرُّ فيه الكِبْـرُ مقْـبولُ

* * *

دَعْ الكراسـى والأضْواءَ موضعَهَـا ضَعْ الملابسَ أنَّـى شئْتَ من سـكَنِ

(*) المال ٢٠٠٨/١٢/٣٠

فليس يُنْشِيءُ هذا مسرَحًا أبـــــدًا مهمَا تخيَّلتَ من هزل ومن مِحَـــنِ
هاتِ الممثـلَ والتمثيلُ عندئـــــذٍ يجدُ المكانُ معانيـهِ مـع الزَمـــنِ
وكل شـــيءٍ يُرَى فى الحال قِيمتُـه ودَوْرهٌ فـــى خيالِ المخـرجِ الفَطِنِ

* * *

يا من يعلَّلُ حَظّيْـهِ ليقنِعَنـــــــي علَّلْـــتُ قَبْلَكَ والتعليـل تمثيـــل
هذا الحـوارُ المسْرَحيُّ رُفَّـــــــى بها حياتُـــك تكثيـــرٌ وتقليـــلُ
ألا وإنَّك حَـيٌّ صيغَ من كَلِـــــم وكم تَصرَّفَ فيـه القـالُ والقيـلُ
أنتَ المقـولُ الذى لم يَدْرِ قائلُـــه عَجْزًا وكلُّكَ ترتيـــلٌ وتهليـــلُ

* * *

هدِّئْ حماسَـكَ أشْقَى الدورُ لاعِبَهُ لقـد سَخطْتَ وهذا السخْطُ مكبـوتُ
وذاك " أنت " قريبٌ منْكَ لامِسُـهُ تَوَدُّهُ وهـو فـــى عَيْنَيْكَ ممقُوتُ
"وأنت" هذا غريبٌ رافضٌ شَكِـسٌ مـن العِنـادِ الذى تهواهُ منحُـوتُ
يثورُ للحقِّ لا يـدرِى معالِمَـــــهُ ويَفْتَرى وهو بالإخلاصِ منعُـوتُ !

* * *

من التـراب الذى يُذريه مَسرَحُـهُ بَنَـى الممثِّلَ والإعجـابَ والعجبَا
وكلّ وصـفٍ لـذى وصـفٍ يميِّزُهُ وكُلّ معنًـى لِمَـا يأتِـى وما ذَهبا
بناهُ والقِيَـمَ اللائـى نَعيشُ لهـــا فالعِـزُّ والذُّلُّ تمثيلٌ لمَـنْ غلَبَـا
ودورةُ الأرضِ لا تَحْوِى لذاكَ صَدًى لا يأخذُ الكونُ شيئًا غيرَ ما وهَبَـا